Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولولا خِلالٌ سنّها الشعرُ ما دَرَى بناةُ العلا من أين تُؤْتى المكارم

ثم جاء شوقي فرددها في إحدى مدائحه :

رُبَّ مدحٍ أبان للناسِ فضلاً وأتاهمْ بقُدوةٍ ومِـثالِ

ما أريد الدفاع عن شعر المديح أصلاً ، فما بالك بالدفاع بمثل هذه الحجج التي تريد تصوير الباطل حقاً ، والقبح حسناً ؟ كل ما أريده القول بأن الشاعر ربما ندت منه أبيات تصور هذا البؤس الذي كان يعانيه الشعب فيقول في التهنئة بعيد الملك :

يا رُبَّ يومٍ مرَّ ما ظفِر امرؤٌ فيه بطيفِ الزادِ أو بِفُتاتِهِ

ثارتْ نفوسُ الناس فيه، ولنْ ترى كالشعبِ حين يُصابُ في أقواتِهِ

نادى بـه فاروقُ : شعبي مالَهُ يشكو الطوى والتبرُ من غلاتِهِ

فالشاعر المادح غائب عن هذه الأبيات بقدر حضور الشاعر المعبر عن واقع الأمة ، وما يطيحها من مجاعات، ودعْ ما ذكر الشاعر من أن « الفاروق » كان ينادي بالغوث لأمته ، وتدبر هذا التعبير الذي أصبح تقليدياً لكثرة تكراره (يشكو الطوى والتبر من غلاته) ، فهو برغم ذلك لم يبتذل لأنـه يشير إلى مكمن الثورة القادمة في ضمير الغيب : الشعب يكدح وينتج التبر ثم لا يظفر بغير الجوع ، أليس هذا الزناد مفجر الثورة .

لكأني بالشاعر في مقام دعوة معينة يبثها سامعيه .. دعوة لم يتوقعها ، ولا تدبرها ، لأنها من إملاء الواقع المباشر ، الذي يفرض نفسه على الشاعر دون أن يدع له فرصة التدبر والتوعى .

لا نستطيع إذن أن نقول إن الشعر كله كان محايداً مستهتراً بما كان يدور من صراع ومعاناة في مرحلة المخاض التي سبقت الثورة ، فقد رأينا أن الشعر الذاتي الفردي ليس دائماً سلبياً ، بل إنله جانبه الاجتماعي الإيجابي، إذا وضعناه في إطاره التاريخي الصحيح ، وإذا راعينا ما يتركه في النفوس من آثار .